

المحاضرة الثانية

عنوان المحاضرة: التطور التاريخي لحقوق الإنسان

إن التاريخ حلقات موصلة يكمل بعضها بعضاً، فالماضي وسيلة لفهم الحاضر، كما إن الحاضر يعيش فيه الماضي، وكلاهما يرسمان ملامح المستقبل، وموضوع حقوق الإنسان ليس وليد العصر الحاضر، وإنما هو قديم قدم الإنسانية نفسها، بل عنده لكن الوعي بهذه الحقوق والاعتراف بها ومن ثم التمتع بها اتخذ مسيرة طويلة في التاريخ البشري، وستبقى مسيرة حقوق الإنسان طالما وجد الإنسان على هذه الأرض.

ومسيرة حقوق الإنسان في تاريخ البشرية حققت مكاسب كبيرة، ويعود ذلك إلى نضال الأفراد والشعوب عبر التاريخ ضد الظلم والطغيان.

لقد ساهمت الشرائع السماوية والحضارات القديمة في وضع بذور مسيرة حقوق الإنسان منذ زمن بعيد، فكل الشرائع السماوية أولت الإنسان وحقوقه الاهتمام الأول. فالإسلام هو أول من قرر المبادئ الخاصة بحقوق الإنسان في إكمال صورة أوسع نطاق.

تاريخ حقوق الإنسان مرة بثلاث مراحل أساسية هي :

المرحلة الأولى: حقوق الإنسان في الحضارات والمجتمعات القديمة، وتبدأ هذه المرحلة من بدء الخليقة إلى القرن الخامس الميلادي بسقوط الإمبراطورية الرومانية. المرحلة الثانية: حقوق الإنسان في العصور الوسطى، وتبدأ من ظهور الإسلام إلى القرن الخامس الميلادي وتنتهي بالقرن الخامس عشر الميلادي عام 1492م. المرحلة الثالثة: حقوق الإنسان في العصر الحديث، وتبدأ من القرن الخامس عشر ميلادي.

إن هذه المراحل لم تكن منفصلة تماماً ولا توجد فواصل زمنية محددة بينها، وفي العصر الحديث كان من أهم التحولات في التطور في مجال فوق الإنسان إعلان الاستقلال الأمريكي لحقوق الإنسان عام 1776م، وإعلان الفرنسي لحقوق الإنسان عام 1789م.

المرحلة الأولى: حقوق الإنسان في الحضارات والمجتمعات القديمة:

إن سمة جميع الحضارات هي الاحترام الذي توليه لكرامة الإنسان وحرية، وجميع الديانات والتقاليد الثقافية تحتفل بهذه المثل ومع ذلك فإن هذه الحقوق قد مختلفة تارة جيدة وتارة أخرى منتهكة عبر مر التاريخ ومن المعلوم إن كتابة التاريخ قد بدأت بعد ظهور الحضارات بمدة طويلة، لذا يصعب تلمس حقوق الإنسان في المجتمعات البدائية التي تمثلت تاريخياً بظهور القرية ثم المدينة.

وقد بني الكثير من الباحثين نظرياتهم عن الحياة في المجتمعات البدائية على الحدس والظن والافتراض، أو باستعانتهم بالدراسات التي قام بها عدد من علماء الاجتماع لحياة القبائل المتوحشة والجماعات البدائية التي مازال يعيش كثير منها حتى الآن

بالافتراض أنها تمثل المجتمع البشري الأول لأنها عاشت منعزلة عن العام المتحضر، وقد ذهب بعض هولا الباحثين في تصورهم لحياة البشرية الأولى الى حد القول بوحشية الإنسان الأول، وشيوعية الجنس التامة في العلاقة بين الرجل والمرأة، وشيوعية ملكية وسائل الإنتاج، وبان الإنسان البدائي كان يعيش بحسب ما تمليه عليه غرائزه مشبعاً رغباته في جو من الحرية التامة التي تقارب الانفلات من أي قانون. واختلاف حقوق الأفراد حسب التواجد والعيش في حياة القرية أو المدينة، والتصرفات التي كانت تصدر من الأفراد حسب ما تمليه عليهم غرائزهم . لكن المنطق لا يقبل هذه التصورات وهو إن الإنسان يعيش بحسب ما تمليه عليه غرائزه، لان البشرية لم تخلق في الأرض لتعيش حياة الفوضى، بل إن المجتمع البشري الأول قد سار مدة طويلة محفوفاً بالعناية الإلهية والرعاية الربانية التي شرعة حسب الكتب والشرائع السماوية المنزلة على الرسل والأنبياء عليهم السلام. حقوق الإنسان الحضارات القديمة:

أولاً: حضارة بلاد وادي الرافدين:

تعتبر حضارات وادي الرافدين أقدم الحضارات البشرية والها اهتماماً بحقوق الإنسان، إن القانون والعدالة والحرية كانت من أساسيات الفكر العراقي القديم ومنذ بدء التدوين في الإلف الثالث قبل الميلاد كان العراقيون في مختلف عصورها التاريخية، سومرية كانت أم أكديّة بابلية أو آشورية. وان حضارة وادي الرافدين تعد من أقدم الحضارات التي وضعت قوانين وقواعد وتطبيق اجراءات تضمن للجميع الحرية والعدالة الاجتماعية والمساواة. وكان لها الاهتمام في الجانب الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي . فمن الناحية الاجتماعية، انشأ أكثر القوانين لإعطاء الإنسان حقوقه والتعريف بواجباته، والجانب السياسي من العدالة والحرية والمساواة كانت من الفكر السياسي الذي شرع عبر قوانين كثيرة في حضارة وادي الرافدين ومنها:

قانون أور نمو مؤسس سلالة أور الثالثة السومرية (2113-2060 ق.م) عدد من المواد القانونية وخاصة في مجال حقوقه المرأة، وكذلك قانون لبت عشتار خامس ملوك سلالة أيسن (1934-1924 ق.م)، وكذلك قانون شنونا المرأة وشؤونها العائلية، وقانون حمو رابي الحاكم البابلي (1792-1750 ق.م) وتحتوي شريعة حمو رابي الشهيرة على أكثر من 30 مادة قانونية تعالج شؤون المرأة والأسرة من زواج وطلاق وارث وتبني وغيرها فيما يخص مجال حقوق الإنسان، وفيما يخص القوانين الأشورية هناك العديد من رقم الطين مدونة بالخط المسماري لقوانين آشورية تنطبق في عدد من موادها إلى حياة الإنسان وبالخصوص المرأة وحقوقها.

فالمجتمع العراقي القديم حاله كنفيات حال المجتمعات القديمة كالمجتمع المصري واليهودي ووالحثي والإغريقي والروماني، من طبقات كطبقة الأحرار والعبيد و الطبقي الوسطى، والتميز كان طبقتين رئيسيتين فقط هما الأحرار والعبيد. إننا أساس التميز في المجتمع العراقي القديم بين الأفراد هو الحالة الاقتصادية وإمكانية المادية وذلك بسبب اعتماد المجتمع العراقي على التجارة وكن كان مجتمع أنساني

من خلال وقوف القوانين بجانب الطبقة الفقيرة الكادحة وحمايتها من استغلال الأغنياء لها والمنفذين.

ثانياً: الحضارة المصرية:

إن مصر بلد ذو حضارة من اعرق حضارات العالم، مرت عليها دول لها نظام حكم مختلفة، كانت مصر خلالها تحت حكم يسوده العدل وتارة يسوده الظلم والاستبداد مرات، ومرت مصر بمراحل من الحكم ، مرت الحكم الفرعوني والحكم الهكسوس والحكم الإغريقي والروماني. ففي الحكم الفرعوني مرت بثلاث مراحل مرحلة الدولة الفرعونية القديمة والوسطى والحديثة، فكانت المرحلة الأولى تقوم على فكرة إلهية الملك الذي يلقب بالفرعون ويعد سيد الأرض ومن عليها وساد في ذلك الوقت الظلم والاستبداد وليس من حق الشعب المشاركة في الحكم بل على الجميع السمع والطاعة وإجبارهم على الأعمال بالصخرة وبدون مقابل أو اجر وخير دليل على ذلك بناء الكثير من الأهرامات، إما المرحلة الثانية تحققت نوع من العدالة، إما المرحلة الثالثة عاد الظلم والاستبداد من جديد.

إما في عهد الهكسوس الذين هم من القبائل العمورية التي غزت مصر واستمر احتلالها لمصر ما يقارب مائة عام وكان يطلق عليهم تسمية ملوك الرعاة، وكان المجتمع المصري ينقسم إلى ثلاث طبقات، طبقة الفقراء والعبيد والأحرار وفيها قصة سيدنا يوسف (عليه السلام).

إما في عهد الاحتلال اليوناني عند دخول لاسكندر المقدوني فقد حكموا مصر على أساس التفرقة العنصرية، إذا اعتبروا اليونانيين أنفسهم الجنس الممتاز. إما في عهد الاحتلال الروماني قد سار الرومان على سياسة التمييز العنصري جاعلين المصريين أبناء البلد في الطبقة الأخيرة.

ثالثاً: الحضارات في الهند والصين:

تعتبر الحضارات الشرقية كالهندية والصينية من الحضارات التي اهتمت بحقوق الإنسان والعلاقات الإنسانية إذا جعلت هذه الحضارات ارتباطاً وثيقاً بين التعاليم الدينية والنظرة إلى الإنسان وحقوقه، فالهندوسية التي ظهرت في الفترة (1500-1300 ق.م) وانتشرت من الهند إلى مناطق ومجتمعات جنوب شرق آسيا التي استندت في قوانينها الخاصة بحقوق الإنسان.

ففي الهند اشتهر بوذا (560-480 ق.م) بتعاليمه التي انطلقت من الهند وانتشرت في الصين واليابان التي جاءت بكثير من مبادئ المساواة والعدالة. إما في الصين فقد تجلت حكمة الفيلسوف كونفو شيوس (550-479 ق.م) في نشر العدل والدعوة إلى الإخاء العالمي والأمن والسلام بين الناس وشدد هذا الفيلسوف في تعاليمه على خدمة الإنسان للإنسان أيًا كان.

رابعاً: الحضارة اليونانية:

وهي حضارة تمتاز بالفكر الفلسفي والسياسي، ومن أهم المفكرين اليونانيين الذين اهتموا بالسياسة وحقوق الإنسان هو صولون (ت 569ق.م) الذي اصدر قانون عرف باسم قانون صولون الذي أكد إلغاء الرق ووضع نظام للشراكة ووضع قاعدة لتقسيم التركة.

والمجتمع اليوناني ينقسم إلى أربع طبقات، طبقة الإشراف وطبقة أصحاب المهن وطبقة الفلاحين والفقراء وطبقة الأرقاء، وتدخلت الدولة في حياة الفرد .

خامساً: الحضارة الرومانية:

توصف الحضارة الرومانية بأنها حضارة عسكرية وحضارة القانون، وقد رافق هذا التوسع وجود تمييز بين المواطن الروماني وغيره من رعايا الإمبراطورية إذا كان يخضع كل منهم لقانون خاص به، وكن بمرور الزمن إنشاء قانون الشعوب المستند إلى جميع الأعراف وقواعد العدالة والمرتكز على فكرة القانون الطبيعي، وقد شهدت الإمبراطورية الرومانية بزوغ فجر ولادة سيدنا المسيح (علية السلام) والتعاليم المسيحية التي اكدت في تعاملها على كرامة الإنسان في التسامح والإخاء والمحبة لأن الله هو الذي خلق الإنسان ودعاء إلى المساواة بين الجميع إمام الله والى تحرير الإنسان من العبودية.